

أمثال القرآن

[431] وبعد نقاش دار بينهم توصلوا إلى أن يبرموا صلحاً مع المسلمين بشرط أن لا يحجوا هذا العام. قصد عروة وسهيل بن عمرو الحديبية لإبرام عقد الصلح مع المسلمين، وبعد لقائهما الرسول (صلى الله عليه وآله) واتفقهما، أمر الرسول (صلى الله عليه وآله) الامام علي (عليه السلام) بكتابة عقد الصلح. أمر الرسول علياً بكتابة (بسم الله الرحمن الرحيم) لكن سهيل اعترض زاعماً أنهم لو كانوا متفقين مع المسلمين في شعاراتهم لما تنازعوا معهم، وطلب كتابة (بسمك اللهم...) (1). ثقل على المسلمين كلام سهيل، لكن الرسول (صلى الله عليه وآله) وافق عليه وأمر علي كتابة ما كان دارجاً كتابته ثم قال لعلي: "اكتب! هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو"، فقال سهيل: لو شهدت أنك رسول أنك رسول لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك، فقال لعلي: "اكتب: هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو..."، وعندئذ انعقد صلح الحديبية، وتقرر فيه أن يقدم المسلمون العام المقبل وقيموا في مكة مدة ثلاثة أيام لغرض الزيارة وأداء العمرة المفردة (2). ترتبت آثار كثيرة على صلح الحديبية، والفتح المبين الذي أشارت له الآيات الأولى من سورة الفتح هو هذا الصلح، فقد كان فتحاً مبيناً حقاً؛ لكثرة مردوداته الإيجابية وبركاته، رغم استياء بعض المسلمين والمتطرفين وضيق الصدور ممن لا ينظرون إلا للمستقبل القريب، حيث قال البعض: يا معشر المسلمين أأرد إلى المشركين يفتنونني في ديني؟ فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): "اصبر واحتسب، فإن الله جاعل لك وللمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً". وبعد الانتهاء من كتابة الصلح والإشهاد عليه أمر الرسول المسلمين بالنحر والذبح للإحلال من الأحرام، ثم رجعوا إلى المدينة. عندها نزلت آيات تطمئن قلوب المسلمين وتسكنها وتعددهم بفتح مكة ودخولها بعز: (لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ) (3)، وهي تعدد من معجزات القرآن؛ لكونها أخبرت عن الغيب. 1. كان هذا التعبير دارجاً عند المشركين ويبدأون به رسائلهم وكتبهم. 2. راجع سيرة ابن هشام 3: 317 - 318. 3. الفتح: 27.